

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م



9 786144 163290

ISBN 978-614-416-329-0

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم

بيروت - لبنان - ص.ب : 14/6366

هاتف وفاكس : 701974 - 300227 (009611)

البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb

الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

الحربي مقلِّدًا جامدًا باهتًا باردًا، بل كان -أثابه الله- متفردًا في بيانه، متميزًا في إبداعه، يغرف من بحرٍ لُجِّيٍّ، ويُنفق من تَرَكةٍ مباركة، مع ذاكرة وقَّادة، وطبيعة منقادة، وذهن كصيّب نافع، وخاطر كسنا برِّقٍ صادق.

إن هذا الشارح عالمٌ قبل أن يكون أديبًا، وموسوعيٌّ قبل أن يكون ناقلًا، فهو أتى إلى هذه اللامية كامل العُدَّة، مليء العيية، زاحر البحر، وقد أقبل كالسيل المتلاطم، لكنه يحمل دُرًّا لا حجارة، ويقوتًا لا خشبًا، يُسعفُه كتاب الله الذي أفرغه في قلبه، وسكبه بين جوانحه، فهو يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل، في ذاكرة كجنة بربوة أصابها وابل الواحي، فأتت أكلها من الفهم الثاقب ضعفين، فإن لم يُصبها وابل الدليل، فطلَّ الاستنباط، وندى الاجتهاد، ويؤيِّده في شرحه رسوخ علمي، استسهل في نيله الصَّعاب، واستعذب في جمعه العذاب، في سنين طوال بين المحراب والمنارة، والروضة والمنبر، فهو من المهاجرين لطلب الحكمة، والأنصار في الذَّبِّ عن الحق، لزم بيته يفتي أسفار العلوم حرفًا حرفًا، ويفري أديم المعرفة شبرًا شبرًا، حتى أتى بشرح سحب به على سحبان البيان النسيان، وأنسى الناس سيبويه من أزمان، فلو اطلع الكسائي على علمه لخلع له كساءه، ولو شاهد المُرْزِي قريحته، لمأً من مُرْزئه إناءه، والرجل موهوب، يسابق قلمه لسانه، وينافس خاطره جنانه، مع تجويده لعلوم الآلة، فهو صاحب فنون، ولحديثه شجون، جدًّا حتى أخنى جواده، واجتهد حتى ودَّع سهاده، تصدق

ودعني أصور لك المقام بتفصيل :

هؤلاء هم الظالمون .. بُعثوا وحُشروا جميعاً .. عُرِضوا على شفير جهنم ، النار تَلْفَحُ وجوههم .. تَسْفَعُ أبشارهم .. يتمنون أن يُرَدَّوا إلى الحياة الأولى .. أن يُمنحوا فرصة أخرى ، فلا يُكذِّبوا بالآيات والرسل .. ينتظموا في جماعة المؤمنين المصدقين برسُل الله ، ووعدِهِ ، ونعيمِهِ ، وعذابِهِ ، ماذا لو أعطاهم الله ما تَمَنَّوْا ، ورُدَّوا إلى الحياة الدنيا بعد وعدِهِم المؤكَّد ، وبعدما رأوه من هَوْل وفزع ، وبعد أن مَسَّهِم لَهَب النار ، وبعد ما أدركوا ما لا يوصَف .. ؟ أيتوقع أحد أن يُضَيِّعوا نَفْساً واحداً في غير الطاعة إذا رُدُّوا .. ؟ أيتصور أحد أن يكذبوا في وعدِهِم .. ؟ قال الله ﴿بَلْ بَدَأْتُمْ مَّا كَانُوا يَخْفَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام] ، خابت الآمال كلها ، وكذبت كل التصورات وبطل كل هاجس ، ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ .

وفي حياتنا نماذج كثيرة تنبئ عن الخيبة ولو صغرت . وفي القرآن آيات كثيرة تُخبر أن أكثر الناس لا يعلمون ولا يعقلون .. وبالع ابن الوردِي فقال عن أهل عصره :

كُلُّ أَهْلِ الْعَصْرِ غُمْرٌ ، وَأَنَا مِنْهُمْ فَاتْرُكْ تَفَاصِيلَ الْجُمْلِ

قلتُ فيها مُلغِزًا:

ورديةُ الخَدِّ^(١)، كثيرةُ الصَّدِّ^(٢)، أمرها ما بين هَجَرٍ واطِّراحٍ،
تهوى الجَدَّ ولا يُعْجِبُها المُزاح، مرَّ عليها مئات السنين، وهي إلى
اليوم لم تبلغ الثمانين^(٣)، سَحَبَتْ أذيال الملام، على أترابها من
ذوات اللام^(٤)، لفظها سحر حلالٌ، وإن استهلَّت بالاعتزال^(٥)، إذ
انقلبَ خليلها لم تجدْ له في اللسان طَعْمًا، ولا في العين رَسْمًا،
ولا في المقاييس وزنا ولا اسما^(٦).

تلك هي غَرَاءُ ابن الوردِي، وهذا هو شَرَحُها .. جعلته سهلاً
سائغاً .. إذ ليس من البلاغة في شيء أن يشرح الكلام بأصعب منه ..
أسألُ الله النفعَ والقبولَ.

(١) لأنها لابن الوردِي.

(٢) لكثرة ما فيها من نحو: (اعتزل)، و(دع)، و(اترك) ونحوها.

(٣) أي: لم تبلغ ثمانين بيتاً، وقد مرَّ عليها نحو سبعمئة سنة.

(٤) لأنها أشهر اللاميات، وأخفها روحاً ولفظاً وعروضاً.

(٥) لأنَّ من البيان ما هو سحر، واستهلَّت القصيدة بقوله: «اعتزل ذكر الغواني»، والمراد
الإشارة إلى أنها سحر - والمعتزلة لا يصدقون بحقيقته - ولكنها جمعت بينهما.

(٦) هذه الجملة هي شقُّ اللَّغز الخفيِّ. ومعناها: أنَّ بحرَها - وهو الرَّمْلُ، وكنيت عن
ذلك بواضع علم العروض، وهو الخليل - إذا انقلب فقرئ (لَمَرَّ) لم تجدْ له معنًى
ولا وجوداً ولا قيمةً في معاجم اللُّغة كاللِّسان والعين ومقاييس ابن فارس. وقد ناسب
الطعم اللِّسان، والرسمُ العين، والوزن المقاييس.

الشرح:

وَفُقَّ ابْنُ الْوَرْدِيِّ فِي الْمَطْلَعِ لَفْظًا وَمَوْضُوعًا، فَإِنَّهُ وَصَّى بِوَصَايَا
وَأَدَابٍ كَثِيرَةٍ، وَأَرَادَ قَبْلَ ذَلِكَ أَنْ يَفْرِغَ قَلْبَكَ وَيَنْقِيَهُ مِنْ دَنَسِ
الْمَعْصِيَةِ، وَرَسَيْسِ الْفِسْقِ، وَمُجُونِ الْهَوَى، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَسَائِرِ
الْآفَاتِ.

والاعتزال بالمرّة هو خير دواءٍ لكل المعاصي وأسبابها من البشر
وغيرهم .

والاعتزال واجبٌ على من خَافَ على نفسه ودينه .. اعتزال تركٍ
وبُعد .. والمُتَمَكِّنُ الصُّلْبُ فِي دِينِهِ، الثَّابِتُ الْقَوِيُّ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ
ذَلِكَ، وَلَا يُسْتَحَبُّ، وَيُبَاحُ لَهُ إِنْ يَسَّرَ مِنْ إِجَابَةٍ مِنْ يَدْعُوهُ.

وفي القرآن الكريم أنواعٌ من الاعتزال وأسبابه، كَقِصَّةِ أَصْحَابِ
الْكَهْفِ، وَإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَفِي الصَّحِيحِ:
«يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ، يَفْرُ
بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ».

وللإمام محمد بن إبراهيم الوزير المتوفى سنة (٨٤٠ هـ) كتابُ
«العزلة في آخر الزّمان»، أورد فيه خمسين حديثًا في العزلة، وفضلها
في آخر الزّمان .

وقوله - في آخر البيت - : وَجَانِبُ مَنْ هَزَلَ، أَي: مَنْ كَانَ هَذَا
شَأْنَهُ، أَوْ مَنْ كَانَ غَالِبًا عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَمُجَانِبَةُ الْجِدِّ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ
مِمَّا يُعِينُ عَلَى الْجِدِّ، وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ:

وأفل: غَابَ، وغالب استعماله في النّجم والكواكب.

أهنا: بتخفيف الهمزة بعد إسكانها.

حلّ: بالمكان يحلُّ، بضمّ الحاء وكسرِها، وحلّ من إحرامه يحلُّ بالكسر، وحلّ العقدة يحلُّها: بالضمّ.

وجميع الكلمات في البيتين مما ورد في القرآن.

الشرح:

دع ذكراك وأشواقك وحنينك إلى ليلى وأخواتها، وسلمى ولِداتها، لأيام خلّت ومضتْ، كنت فيها خفيف الحُلم، طائش العقل .. يشير إلى أنّ هذا لا يصلح من قَويِّ العزم والإرادة، فمن وقع في ذلك وهو كبيرٌ، فهو صَبِيٌّ، ومن جانبه في صباه، فهو كبير، فإنَّ زَمَنَ الصَّبَا قد طواه الدَّهر ومضى، بحيث لا يدلُّ على بقائه دليلٌ.

وتعال لنُفتِّش عن أهنا ساعةٍ قضيتها وتمتعتَ فيها بأحسن ما يُشبع هَواك من اللذات المُحرّمة، هل بقيت لذتها معك إلى هذه السّاعة؟ هل جاوزت مُتعتها تلك اللحظة التي قارفتَ فيها .. ؟ لا لم يبقَ في قلبك إلا حَسرةٌ، إن كان فيه بقية من ذمّاء ونبضة من حياة؛ للإثم الذي كتب عليك، واسودّت به صحيفتك .. والحسرة غُصّة وعناء،

والقِلة والعِلة، أَلَمْ تسمع إلى قول ذلك الذي صادته صائدة القلوب،
حتى بلغ درجة العبودية، وشرف بالانتساب لها ..

لَا تَدْعُنِي إِلَّا بِمَا عَبْدَهَا فَإِنَّهَا أَشْرَفُ أَسْمَائِي

وفي المقابر من لا يحصى من ضحايا الحب الهالكين، بلا دية
ولا قود .

وأمر النساء إحدى آفتين، رأيتهما أسرى شيء في ضياع طالب
العلم. والثانية: الاشتغال بالسياسة والاستغراق في تفاصيلها بالتحليل
والتنظير والترجيح والنقاش، ثم الجزم بحصول النتائج، بناءً على
المقدمات، فيخبط خبط عشواء، ويهيم في كل وادٍ
بالظنون والميُون، فيخرج من نور العلم وضوابطه إلى مسارح
بلا روابط، وكان يكفيه من ذلك معرفة الحال، وأقوال أهل الرأي
والمعرفة^(١).

٥- وَالْهَ عَنِ آلَةٍ لَهُوَ أَطْرَبَتْ

وَعَنِ الْأَمْرِ مُرْتَجٌّ الْكَفَلُ

اللغة:

اللَّهُو: معروف، وهو كاللَّعب، إلا أنه يجمع معه اللذة والمتعة،
كما قال أبو الطيب:

(١) وَنَمَّتْ آفَةٌ ثَالِثَةٌ بَعْدَ هَاتَيْنِ فِي الْمَنْزِلَةِ، هِيَ حُبُّ الْمَالِ وَالْوَلَعُ بِجَمْعِهِ، وَحُبُّ النِّسَاءِ
أَفْتَنَكَ، وَلَكِنَّهُ قَدْ يَنْقَطِعُ، وَأَمَّا حُبُّ الْمَالِ فَلَا يَنْفَكُ عَنْهُ مَنْ عَلِقَ بِهِ.

ولما كانت الفتنة حاصلةً من المسموع والمشاهد، عَقَّبَ بصنفٍ من النوع الآخر، وخصَّه بالأمر؛ لما فيه من الفُحش والخروج عن الفِطرة.

وقوله: مُرْتَجِّ الكَفَل: نوع من الوصف والترشيح، أراد به التحذير، فوقع في ضده، وقد كان في غُنية عن ذكر هذا المعنى وعن البيت الذي بعده، وهو:

٦- إن تَبَدَّى تنكسِفُ شمسُ الضُّحَى

وإذا ما مَاسَ يُزْرِي بالأسَلُ

اللغة:

تنكسِفُ: الكُسُوفُ: كلمة تدلُّ على التَّغَيُّرِ، ومنه: كُسُوفُ الشَّمْسِ والقمرِ وهو ذهابُ ضوءهما.

ماس: الميسُ: التَّبَخُّثُ والميلانُ في المشي.

يزري: الإزراءُ بالشيء: التهاونُ به.

الأسل: الرِّمَّاح؛ لدقَّتْها.

الشرح:

تمادى ابن الوردي في وصف ما نهى عنه وزَجَرَ، ووصفه بالجمال البديع، الذي يُخجل الشمسَ أنصع المخلوقاتِ وأقواها نوراً وضياءً.

الشرح:

يقول: بَلَغَ جمالُ ذلك الموصوف مبلَغًا بحيثُ يُفوقُ جمالَهُ وحُسْنَه القمرَ الممتلئ الذي يكونُ في التَّمامِ على أحسنِ ما يكونُ في بهائه وطلعته، وهو قريب مما سبق في الشمس.

وهو في قوامِهِ واعتدالِهِ مثلُ الغُصنِ الطويلِ الرِّيانِ، بل يفوقُ الغصنَ في اعتداله واستقامته .

ثم قال:

٨- وافتكرَ في مُنتهى حُسْنِ الَّذِي

أَنْتَ تَهَوَّاهُ تَجِدُ أَمْرًا جَلِيلًا

اللغة:

وافتكرَ: ابعثَ الفكرَ على التَّذَكُّرِ .

تهواه: من هوى يَهْوَى، بكسر الواو في الماضي وفتحها في المضارع، كأنهم رأوا أن الهوى يرتقي من أسفل إلى أعلى، واللغة العربية فيها من مثل هذه المعاني الدقيقة التي يُراعى فيها الشَّكل والتصريف كثيرٌ. ألا ترى أنهم قالوا في السقوط: هوى يهوي، فبدءوا بالحركة الفوقية؛ لأن السقوط من أعلى، وانتهوا بالحركة السفلية مراعاةً لذلك؟

والحاصلُ أنَّ من تذكَّرَ نهايةَ كلِّ شيءٍ في الدُّنيا نَعَصَّ ذلكَ عليه عيشته، ولمَ يَصِفْ له إلا العملُ للآخرة وما والاه، فإنَّ كلَّ نعيمٍ في الدنيا زائلٌ بزواله عنك، أو بزوالك عنه، وقد وصفَ الله الدُّنيا بأنها لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ وتكاثرٌ، أي: لعبٌ كلعِبِ الصِّبيان، ولهوٌ كلهُوِ الفتيان، وزينةٌ كزينةِ النسوان، وتفاخرٌ كتفاخرِ الشُّجعان، وتكاثرٌ كتكاثرِ الثُّجَّارِ والدهَّقان، كما قال مَنْ قال من أهل التفسير .. ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ، ثُمَّ يَهِيْجُ فَنَرُّهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾، [الحديد: ٢٠]، و«الكُفَّار» في الآية بمعنى: الزُّرَّاع؛ لأنهم يكفرون الحبَّ.

إذا ذَوَى الغُصْنُ الرَطِيبُ فاعلمنْ أنْ قُصَّارَاهُ نَفَادٌ وَتَوَى

ثمَّ قال رحمه الله:

٩- واهْجُرِ الخَمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتًى

كَيْفَ يَسْعَى فِي جُنُونٍ مَنْ عَقَلَ؟!

اللفظة:

واهْجُرِ: الهَجَرَ: تركٌ بالكلية، وأظنَّه تركًا بعد ملابسة .

الخَمْرَةُ: بالفتح: الخمر، وبالكسر: الخِمار .

هُوَ الْإِنْسَانُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُحَقِّقُ عِزَّةَ نَفْسِهِ عِنْدَ نَفْسِهِ بِانْتِصَارِهِ عَلَيْهَا
وَعَلَبَتِهِ عَلَى هَوَاهُ، وَهُوَ الْبَطْلُ الْحَقِيقِيُّ لَا الَّذِي يَقْطَعُ الْمَفَاوِزَ
وَالْقِفَارَ، وَيَجُوبُ الْبِلَادَ وَالْفِدَافِدَ، فَهَذَا مُتَشَبِّهٌُ بِالسَّبَّاحِ وَالْوَحُوشِ،
وَفِي صِغَارِهَا مَا هُوَ أَعْدَى مِنْهُ وَأَقْطَعُ .. وَالْمُتَّقِي مُتَشَبِّهٌُ بِالْمَلَائِكَةِ فِي
سُمُو رُوحِهِ وَرَفْعَةِ نَفْسِهِ وَمَكَانَتِهِ، إِذْ بَعُدَ عَنِ الرِّزَايَا وَالْدُنَايَا، وَمَنْ
لَا يَهْمُهُ رَأْيُ نَفْسِهِ فِي نَفْسِهِ هُوَ إِنْسَانٌ سَاقِطُ الْمَرْوَةِ، سَيِّءُ الْمَلَكَةِ،
ضَعِيفُ الْهِمَّةِ، وَلِلْحُكَمَاءِ فِي ذَلِكَ جَمَلٌ مَشْهُورَةٌ.

والحاصل: أن البطولة تكون بالانتصار، وكل انتصار بحسبه،
وانتصار المرء على نفسه أمتع البطولات وأعلاها وأغلاها، ومن
حكيم الشعر:

إِنَارَةُ الْعَقْلِ مَكْسُوفٌ بِطَوْنِ هَوَى

وَقَلْبٌ عَاصِي الْهَوَى يَزْدَادُ تَنْوِيرًا

وقال ابن دُرَيْد:

وَأَفَّةُ الْعَقْلِ الْهَوَى، فَمَنْ عَلَا

عَلَى هَوَاهُ عَقْلُهُ فَقَدْ نَجَا

١٢- صَدَقَ الشَّرْعَ وَلَا تَرَكْنِي إِلَى

رَجُلٍ يَرْصُدُ بِاللَّيْلِ زُحْلًا

تأثيراً ذاتياً في الكون، يستدلون بأشياء، فيصدّقون في واحدة، ويكذبون في تسع وتسعين، ولقد فضحت الأزمان مخاريق المنجمين، ومن ذلك ما ذكره المؤرّخون عنهم أنهم حكّموا بخراب العالم في جميع الأرض بأعظم ربح، ففزع من صدقهم من طعام الناس وأوباشهم، وهم الأكثر، وهرعوا إلى إعداد الأزواد وحفر المغارات، وكان ذلك عام ٥٨٢هـ، فمرّ العالم بسلام ولم يتغير شيء مما قالوا، وزعموا أن ذلك الخراب سوف يحصل بسبب اجتماع الكواكب في الميزان .. وقد جاء ذمهم في آخر سورة الشعراء، وفي الأحاديث الصحيحة.

١٣- حَارَتِ الْأَفْكَارُ فِي قُدْرَةِ مَنْ

قَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا عَزَّ وَجَلَّ

اللغة:

حَارَتِ: الحيرة بفتح الحاء: أن يقف التفكير، فلا يستطيع العقل أن يحكم ولا يميز .

سُبُلَنَا: بإسكان الباء، هو لغة، قرئَ بها في السبع، مُفْرَدُهَا سَبِيلٌ، يُذَكَّرُ وَيؤنَّثُ، قال تعالى: ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال: ﴿لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ [الحجر: ٧٦].

عَزَّ وَجَلَّ: فعلان ماضيان، من العِزَّة والجلال .

١٩- سَيُعِيدُ اللَّهُ كُلًّا مِنْهُمْ

وَسَيَجْزِي فَاعِلًا مَا قَدْ فَعَلَ

اللغة:

فَلْ: ثَلَمَ، وَسَيْفٌ مَفْلُودٌ: مَثْلُومٌ.

نَمْرُودُ: بالذال -معجمة ومهملة- بنُ كَنْعَانَ، من ولدِ حَامِ بنِ نوحَ، والمشهور أنه هو الذي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ.

كَنْعَانُ: أَبُو النمرود المتقدم نَسَبُهُ.

عاد: يقول الإخباريون: هو عادُ بنُ عَوصِ بنِ إِرَمَ بنِ سامِ بنِ نوحَ .. رَزَقَ كَثِيرًا من الولدِ، وهو عادُ الأولى، والثانية من وكده شَدَّادِ بنِ عادَ، وكان لكل منهما مُلْكٌ عَظِيمٌ، وإليهما أُرسِلَ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فِرْعَوْنُ: هو صاحبُ موسى، وقد اشْتَغَلَ أهلُ التواريخ والتفسير بالبحث عن اسمه، والاختلاف فيه، بما لا يزيد فائدةً يَحْسُنُ السكوتُ عليها.

الأهرام: جمع هَرَمٍ، باقية إلى يومنا هذا بالجيزة في القاهرة تُعد من العجائب السبع، قيل: بَنَاهَا سِنَانُ بنُ الْمُهَلْهَلِ مع العمالقة، وقيل: غيره.

أَرْبَابٌ: أصحاب.

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى

لَكَالطُّوْلِ^(١) الْمُرْخَى وَثِيَّاهِ بِالْيَدِ

الْكُلُّ فِي حَكْمِ الْمَوْتِ سَوَاءٌ سَوَاءٌ، أَقْرَبُ شَيْءٍ إِلَى النَّاسِ وَهُمْ فِي حَالِهِمْ أَبْعَدُ مَا يَكُونُ عَنْهُ، لَهُمْ فِيهِ خَيْرٌ وَإِنْ أَبْغَضُوهُ، وَلَوْ بَقِيَ النَّاسُ بِلَا مَوْتٍ لَمَا وَسَعَتْهُمْ الْأَرْضُ، وَلَا زَادَ بَغْيُهُمْ وَفَسَادُهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ لكَثِيرٍ مِنَ الْمَكَارِمِ مَعْنَى.

وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى

وَبَذَلَ النَّدَى لَوْلَا لِقَاءُ شَعُوبِ^(٢)

وَيَقَرُّ ابْنُ الْوَرْدِيِّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ بِطَرِيقِ الْاسْتِفْهَامِ، الَّذِي يَحْمِلُ الْمَخَاطَبَ عَلَى الْإِقْرَارِ وَعَدَمِ الْإِنْكَارِ، بِذِكْرِ الطُّغَاةِ وَالْجَبَابِرَةِ وَأُولِي الْبَأْسِ مِنْ أَهْلِ الْقُرُونِ الْأُولَى، وَالزَّمَانِ الْغَابِرِ، أَمْثَالِ عَادٍ، وَثَمُودَ، وَفِرْعَوْنَ، وَالنَّمْرُودِ، وَكِنْعَانَ، وَهَامَانَ، وَغَيْرِهِمْ، مِمَّنْ مَلَكَ الْأَرْضَ، أَيْنَ هَؤُلَاءِ؟ هَلْ بَقِيَ لَهُمْ مِنْ أَثَرٍ أَوْ عَثِيرٍ؟ هَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ؟ هَلَكُوا أَجْمَعِينَ أَبْصَعِينَ، وَلَا تَحْسُ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَلَا تَسْمَعُ لَهُمْ صَوْتًا وَلَا رِكْزًا وَلَا رِزًّا وَلَا حِسًّا، ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾

(١) الحبل.

(٢) عَلِمَ عَلَى الْمَوْتِ.

اللغة:

بُنِيَ: تصغير ابني، ويجوز فتح الياء وكسرها وإسكانها.

وَصَايَا: جمع وصية، وهي ما يقدمه الإنسان إلى غيره بحرص؛
ليؤخذ عنه، سواء كانت كلاماً أو غيره.

حِكَمًا: جمع حكمة، مأخوذ من الحكمة التي تكون بحبلي الفرس
في اللجام، يكبح بها جماحه، والأصل في معناها: المنع.

قال الشاعر:

أَبْنِي حَنِيفَةً أَحْكِمُوا سُفْهَاءَكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا
وَلَهَا معانٍ مُرادَةٍ، منها: العلم، والحلم، والعدل، والبُنية،
والإنجيل، والقرآن .

وَاحْتَفِلْ: اجمع همّة نفسك .

وَحَوْلٌ: لَفْظٌ يُسْتَعْمَلُ لِلْمُفْرَدِ وَغَيْرِهِ، والمذكر والمؤنث، وهي
النعم التابعة من الناس كالعييد والإماء والخدم ونحوهم. وفي
الصحيح: «إِخْوَانُكُمْ خَوْلُكُمْ».

أَرْبَابُهُ: أصحابه .

الدَّرَبُ: الباب الكبير الواسع الطريق .

فالجنة حُفَّتْ بالمكاره، والمجدُّ لا يُبلغ إلا برُكوب الصَّعاب
والمعاناة، وما أبعدَ العلمَ على أهلِ الكسلِ والتواني وصِغارِ الهمم،
والعلمُ لا ينال إلا بالطموح والاستعداد النفسي والذهني، وللشافعي
في ذلك بيتان:

أَخِي لَنْ تَنَالَ الْعِلْمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ

سَأُثَبِّتُكَ عَنْ تَقْصِيرِهَا بَيَّانٍ

ذَكَاءٌ، وَحِرْصٌ، وَاجْتِهَادٌ، وَبُلْغَةٌ

وَصُحْبَةٌ أَسْتَاذٍ وَطُولُ زَمَانٍ

أما النوم فهو آية من آياتِ الله، ونعمة من نعمه، جعله الله راحةً
للأبدان في الليل والنهار، لا حياة للمرء بدونه، يفقد الإنسان فيه
حواسه إلا السمع، ولهذا اختتمت آية النوم بالإشارة إلى هذا، قال
تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّكُمْ فِي
ذَلِكَ لَلَّائِينَ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (٢٣) [الروم].

والنوم قليله مُضِرٌّ، وكثيره مُضِرٌّ؛ لأن كثرتَه تؤدي إلى ترسُّب
المواد الدهنية في الشرايين، والطبيعيُّ ما بين أربع ساعات إلى تسع،
ويعرف الإنسان كفايته من النوم حينما يستيقظ مرتاحاً نشِطاً، ويغلب
على النَّوَامِ السَّدَاجَةُ، والبساطة، وضعف الطموح.

وللنوم أسرار وخفايا، وأحوال فيه عجيبة، ذكرتُ شيئاً من ذلك
في «المقامة السُّهَّادية» في كتاب المقامات^(١).

(١) مقامات أدبية، سمَّيتها «ذات الأكمَام»، طبعت.

وَفِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ إِنَّ لَمْ تَكُنْ

مِثْلَ الْبَخَارِيِّ فَكُنْ كَالْبَيْهَقِيِّ^(١)

وقد يكون من العوائق التي يضعها الشيطان أمام طالب العلم زرع اليأس من إدراك ما أدركه السابقون، فيقول: ذهب أهل العلم وزمانهم، وهذا زمان سوء وصبر، وفسد الناس جميعاً والزمن، وذهب الكرام بأسرهم.

يقول ابن الوردي في الجواب عن هذا: لا تقل قد ذهبت أربابه .. فكم ترك الأول للآخر، ولا فرق بين الزمان والذي قبله إلا بكثرة الفتن والصوارف وضعف الفهم واختلاف الوسائل، وأما العقول فهي العقول.

فسِرْ - أيها الطالب - في طريق العلم الذي يُسهِّل لك طريقاً إلى الجنة، فكل سائر على الدرب واصل، وأول السيل قطرة، وأول السير خَطرة .

وللشافعي في طلب العلم أبيات حسان:

سَهْرِي لِنَتَقِيحِ الْعُلُومِ الَّذِي مِنْ وَصَلِ غَانِيَةٍ وَطَيْبِ عِنَاقِ
وَتَمَائِلِي طَرَبًا لِحَلِّ عَوِيصَةٍ أَشْهَى وَأَحْلَى مِنْ مُدَامَةِ سَاقِ

(١) البخاري، هو: محمد بن إسماعيل، صاحب الصحيح (ت ٢٥٦هـ). والبيهقي، هو: أحمد بن الحسين الشافعي، من أئمة الحديث والفقه (ت ٤٥٨هـ).

اللغة:

إرغام العدا: إذلال الأعداء، والإرغام .. مأخوذ من الرِّغام^(١)، وهو التراب، كأن المرغم وُضِعَ أنفه فيه إذلالاً له .

جَمَلٌ: حَسَنٌ .

النَّحْوُ: علم الإعراب .

الإِعْرَابُ: الإِفْصاح .

اخْتَبَلُ: أصابه خبال، أي: حيرة تفسد عليه الإصابة في القول .

الشَّعْرُ: ضرب من الكلام موزون مقفًى .

أَطْرَاحُ: ترك .

الرَّفْدُ: بكسر الراء: العطاء .

عُنْوَانُ: شعار، وفيه لغتان أخريان، إبدال النون لاماً أو الواو ياءً .

مُقَرِّفٌ: دنيء .

اتَّكَلُ: اعْتَمَدَ .

الشرح:

تحصيلُ المعالي مما يرغم الكاشح والعدوَّ ويعذب الحاسد، وأشرف المعالي وأغلاها وأعلاها ما قربك من الخير والإيمان، وحصل به الرِّفعة في الدُّنيا، وللعلم من ذلك حظ وافر، إذا حصله

(١) في بعض النسخ: الجود .

عصور التصنيف إلا تعلم النحو، إلا أن يكون علمه لا يحتاج إلى قواعده كالرياضيات والطب وغير ذلك، وإلا فلا ثقة بعلم من لا يعرف الإعراب، وهو ساقط من أعين النبلاء، كما قال الشاعر:

وَيُعْجِبُنِي زِيُّ الْفَتَى وَجَمَالُهُ وَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنِي سَاعَةً يَلْحَنُ

وكما قال الآخر:

النَّحْوُ يُصْلِحُ مِنْ لِسَانِ الْأَلْكَنِ^(١) وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ

وقال بعض الظرفاء:

كُلُّ فَتَى شَبَّ بِلَا إِعْرَابٍ فَذَاكَ عِنْدِي مَثَلُ الْغُرَابِ
وَإِنْ رَأَيْتَهُ لَخَوْدٍ^(٢) عَاشِقًا فَقُلْ لَهَا: دَعِ الْغُرَابَ النَّاعِقَا^(٣)

وصدق ابن الوردي: من حُرِمَ الإعراب والإفصاح في نطقه، تحير وتجمجم .. وقد يتغير المعنى بسبب تغير الإعراب، وإذا رأيت من يذم تعلم النحو، فاعلم أنه عسر عليه، كما عسر على ذلك الأعرابي الذي جلس في بعض حلق النحو، فلم يفهم منه شيئاً، فأنشأ يقول:

سَأَتْرُكُ النَّحْوَ لِأَصْحَابِهِ وَأَصْرِفُ الْهِمَّةَ فِي الصَّيْدِ

(١) من كان في لسانه حُبْسَةً.

(٢) المرأة الحسناء.

(٣) لأن من لا يُعْرَبُ، أي: يفصح في كلامه، كلامه غير مفهوم يشبه نقيق الغريان.

..... وَلَا زِمَ مَذْهَبِي فِي أَطْرَاحِ الرَّفْدِ، فَالدُّنْيَا أَقْلُ
ولهذا عَدَلْتُهُ فِي الْأَصْلِ.

أي: لازم مذهبي ومسلكي في ترك العطايا، وابتغاء المال من وراء
الشعر، فالدنيا أقل من أن يبذل فيها المرء ماء وجهه وشيئاً من دينه،
وقد ورد في المدّاحين ماورد، فإذا كان المادح ممن ينتسب إلى
العلم أسقطه .

والشعر من عناوين الفضل والأدب، خاصة إذا لم يتبذل، وهل
يتبذل إلا بالمديح .

وَلَوْ لَا الشُّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُزْرِي لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مَنْ لِيَدِ

وأما هو في ذاته، فما من فاضل ولا عالم ولا إمام إلا قال الشعر،
أو استشهد به، أو سمعه، فاستحسنه .

ثم راح الشاعر بعد ذلك ينعي أهل زمانه، يخبر أن أهل الفضل
والمروءة ماتوا وقضوا، وهذه النظرة التشاؤمية غالبية على أكثر الناس
على سبيل المبالغة، وإلا فالفضل باقٍ وإن نقص، وأهله باقون وإن
نقصوا .. والمُقرِف: لئيم الأصل الدنيء والمتكئ على أصله الذي
يفخر بفضل آبائه وأجداده، ولا يقتفي أثرهم .

إِنَّ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ هَا أَنَذَا لَيْسَ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ كَانَ أَبِي

مدحي وشعري، بعتُ كرامتي وذمتي، وصيرتُ في رق الممدوح؛ لأن من أمدحه لدنيا أصيبها هو أول من يعلم مطلبي، ويتهمني في صدق نيتي، ويوقن أنه لولا النوال والعطاء لما مدحت بشيء، وإلا فيكفيني الخجل وضياح ماء الوجه وثوب المذلة، والجمع بين خسارتين، ولا يزال المرء كبيراً حتى يُحَقَّرَ نفسه بنفسه .

والبيت الذي بعده يحكي حال كثير من الناس في العطاء، وهو حال من يُعطي بعد مماطلة ومواعدة يستنفذ بها كرامة الآخذ التي لا يعدل ثمنها كنوز الدنيا وقناطيرها المقنطرة، وهذه خصلة ذميمة تزرع في الناس اللؤم، وتعلم السائلين المهانة، ولن ينقلب السائل شاكراً أبداً، ومن الناس من يفعل ذلك مع الفقراء والسائلين في مال الله الذي لا يملك منه شيئاً، وهو الزكاة التي فرضها الله على عباده ..

فيا أيها المعطي إما أن تُعطي بلا إذلال ولا إهانة، وإما أن تقول قولاً ميسوراً، فهذا هو أدب الشرع .

وإن الناس لا يغيظهم منك كثرة مالك وعلو جاهك، ورفعة منصبك، إلا إذا ترفعت عنهم، وقصرت في الإحسان إليهم، وأعرضت عنهم إعراض المحتقر .. وإنك لمتهم بالاسكتبار عندهم حتى تكشف لهم عن خلاف ما يظنون .

(أما استرقاق الأحرار وامتهان النبلاء، واستعباد الرجال، فهذا دليل على خسة الطبع، ورذالة النفس، وسقوط الهمة، وإن من

الوعود قول الإنسان لصاحب الحاجة: لعلّي أفعل، أو لعلّي أتذكر، أو أستطيع ونحو ذلك من العبارات المحيرة.. وقد يضطرّ الإنسان إلى ذلك لأغراض كثيرة لا تخفى، منها: الأخذ بالحيلة.

٣٣- مُلْكُ كِسْرَى عَنْهُ تُغْنِي كِسْرَةٌ

وَعَنِ الْبَحْرِ اجْتِزَاءٌ بِالْوَشَلِ

٣٤- اِعْتَبِرْ ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ ﴾^(١)

تَلْقَاهُ حَقًّا، وَبِالْحَقِّ نَزَلَ

٣٥- لَيْسَ مَا يَحْوِي الْفَتَى مِنْ عَزْمِهِ

لَا، وَلَا مَافَاتِ يَوْمًا بِالْكَسَلِ

اللغة:

كِسْرَى: ملك الفرس، يُلقب به كل من ملكهم، وملوك مصر: الفراعنة، واليمن: التَّابَعَةُ والأقيال، والرُّومُ: القياصرة.

كِسْرَةٌ: بكسر الكاف: قطعة الخبز.

اجْتِزَاءٌ: اكتفاء.

الْوَشَلُ: المطر الخفيف.

(١) سورة الزخرف: ٣٢.

ومعنى بيت ابن الوردي: أن القليل يكفي عن الكثير، وما قلّ كان أحلى، وفي المطر الخفيف ما يغني عن البحر المواج والماء الشجاج، وربما كان في كثرته الهلاك والدمار.

ومن تأمل في أمر الرزق علم أنه لا يُكتسب بالدهاء ولا بالحيل، كما قال الزمخشري، وقيل: ابن الراوندي، وقيل: غيرهما:

كَمْ عَاقِلٍ عَاقِلٍ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ

هَذَا الَّذِي تَرَكَ الْأَوْهَامَ حَائِرَةً

وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلَقَّاهُ مَرُزُوقًا

وَصَوَّرَ الْعَالِمَ النَّحْرِيْرَ زُنْدِيْقًا

فأمر الرزق مفروغ منه، ألم تر إلى قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾، أخبر عن الرزق والخلق بصيغة الماضي؛ لأنه فرغ منهما، وأخبر عن الإماتة والإحياء بالمضارع؛ لأنهما مستقبلا.

والله يقول: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. ومن تأمل ذلك في واقع الناس وجده حقاً لا مرية فيه، بل لو تأمله في نفسه وأهله لأدرك ذلك بلا عناء، ولعلم أن رزقه أعلم بصاحبه منه به.

الشرح:

الزهد في الدنيا وإخراجها من القلب هو الطريق المختصر للحياة الطيبة، وسعادة النفس، ودنيا كل إنسان هي عمره وما يتعلق به، وأما حياة من سواه، فدنيا غيره، والأعمار قصيرة، وإذا كانت دنياك هي عمرك، فهي قصيرة أيضاً، وماهي بالنسبة للآخرة إلا كامرئ أراد أن يسافر إلى مكان يستقر فيه هو وأهله وولده، وفي طريقه عرج على مكان؛ ليتزود منه ساعة، ثم يمضي إلى مستقره، فهل من العقل في شيء إذا أمر - قبل رحيله - أن يجهز له في ذلك المكان الذي عرض له الاسترواح فيه ساعة من دهره قصر وفناء وحديقة غناء، ويحوطها بالخدم والخول، ويترك المكان الذي ينوي الاستقرار فيه آلاف أضعاف تلك المدة الوجيزة خراباً ياباً..؟ ذلك هو الحمق بعينه، فهل أكثر الناس جاهلون حمقى؟ نعم، هم كذلك. قال الله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿٧﴾ [الروم: ٦، ٧]، ومن عادة الدنيا أنها ترفع من لا يستحق الرفة، وتخفض من يستحقها.

عَبَّتْ عَلَى الدُّنْيَا بِتَقْدِيمِ جَاهِلٍ

وَتَأْخِيرِ ذِي عِلْمٍ، فَقَالَتْ: خُذِ الْعُذْرَا

بُنُو الْجَهْلِ أَبْنَائِي لِذَاكَ رَفَعْتُهُمْ

وَأَهْلُ التُّقَى أَبْنَاءُ ضَرَّتِي الْآخَرَى

يقول: كم شجاع في هذه الحياة لم يتحقق له مطلوبه ولا وصل إلى مبتغاه، ولم ينتفع بشجاعته في بلوغ الأمانى .. هذا أبو الطيب المتنبي الذي فاخر بشجاعته الدنيا كان يؤمل أن يظفر بضيعة أو منصب، واحتال لذلك بشعره وشجاعته، فلم يحصل على شيء مما تمنى وأمل، وكان غاية أمره أن قتله شعره وشجاعته وفخاره .

وكم من الجبناء الخوَّار من بلغ مراده وأوتي سؤلّه، ونال غاياته وأمنياته، لم يوصله إليها شجاعة ولا إقدام ولا قوة حيلة، وأسباب هذا وذاك كثيرة يجمعها اختلال الموازين (العدل والحب والسلام)، يقول ابن دُرَيْد ينعى مثل هذا في زمانه:

أَرَى زَمَنًا نَوَّكَاهُ أَسْعَدُ أَهْلَهُ وَلَكِنَّمَا يَشْقَى بِهِ كُلُّ عَاقِلٍ
مَشَتْ رِجْلُهُ أَعْلَاهُ وَالرَّأْسُ تَحْتَهُ فَكَبَّ الْأَعَالِي بِارْتِفَاعِ الْأَسَافِلِ

فإذا كانت الأمانى لا تُنال بدقيق الحيل ومهارة الموهبة وقوة الحذق وجليل الخصال، فالحيلة أن تترك الحيلة في إتعاب نفسك في الطمع والأمانى الكبيرة، وتلزم الرضا والقناعة والتؤدة والرفق .

وفرق كبير بين الطمع والطُّمُوح والاستشراف وعلوَّ الهمة .

والمصنّف يريد الإرشاد إلى ترك الطمع وبيان أن الدنيا لا تعدل بين أبنائها .

٤٢- لَا تَقُلْ أَصْلِي وَفَصْلِي أَبَدًا

إِنَّمَا أَصْلُ الْفَتَى مَا قَدْ حَصَلَ

٤٣- قَدْ يَسُودُ الْمَرْءُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ

وَبِحُسْنِ السَّبْكِ قَدْ يُنْفَى الزَّغَلُ

٤٤- وَكَذَا الْوَرْدُ مِنَ الشَّوْكِ وَمَا

يَنْبُتُ النَّرْجِسُ إِلَّا مِنْ بَصَلٍ

٤٥- مَعَ أَنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى

نَسَبِي إِذْ بِأَبِي بَكَرٍ اتَّصَلَ

اللفظة:

أَصْلِي: آبائي .

وَفَصْلِي: ذريتي .

يَسُودُ: يعلو شأنه ويشرف .

السَّبْكِ: سَبْكَ الذَّهَبِ: أذابه ليصنعه على ما يريد .

الزَّغَلُ: الغشّ، وهذه اللفظة من المستدركات على القاموس .

وقوله: وَبِحُسْنِ السَّبْكِ، هذا على طريقة التشبيه الضماني الذي يشتمل على دليل يؤكد الدعوى؛ ليقس السامع شيئاً بشيءٍ لجامع بينهما، والقياس تشبيه. والدعوى هنا: سيادة الابن بدون أب شريف، والأصل في تخلص الذهب من الشوائب أنه حينما يكون مختلطاً بمعادن أخرى لتقوى صلابته يُفْتَنُ ويُخْتَبَرُ بإحراقه، فيحترق جميع الزَّغَلِ والمواد المتعلقة به حتى لا يبقى إلا الذهب الخالص، ليكون عيار أربعة وعشرين، كما هو متعارف عليه اليوم.

وكذلك زهر الورد، أغصانه وسيقانه مليئة بالشوك، وزهر النرجس الزكي الرائحة، يقال: في شمه غذاء للروح والعقل ويقطع الجنون، يزرغ من بين أوراق البصل، والفرق بينهما في الرائحة هو الفرق بين المتضادات، وهذا يفيد أن الأقيسة لا تطرد في مثل هذا، ولا يلزم من شرف الأصل شرف الفرع، ولا من دناءة الأصل دناءة الفرع.

ثم إن زكاء النسب إذا اجتمع معه شرف الفرع، وإثبات الذات، زاده فضلاً على فضل، وشرف الأصل له في الغالب أثر على الفرع.

وحتى لا يُظَنَّ أن الشاعرَ حينما نهى عن الفخر بالوالد وضع النسب أو مجهولهُ، لوَّح إلى إزالة الوهم بالبيت الأخير، الذي يفيد انتسابه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه كما بيناه في ترجمته في المقدمة.

ما يُحسِنه»، ولا يكون الإنسان إنساناً إلا بصفاته وشمائله، فإذا كان صورة لا يميزها شيء في الخارج فهو جثة لا قيمة لها، فكيف إذا زاد فساداً في الأرض وشراسة في الخلق، وكم في الأرض من أناس لا قيمة لهم ولا نفع، عالة على غيرهم، ينتفعون من العاملين في الأرض ولا ينفعون، الخباز يخبز لهم، والصانع يصنع لهم، والبناء يبني لهم، والكناس يكنس لهم، وهم لا يشاركون المجتمع بإصلاح ولا عمل ولا علم ولا فكر ولا كلام مفيد، ولا شيء .. هؤلاء، لا يحسنون صنعا، ولا قيمة لمن لا يُحسن، فدع الملل وابدأ العمل، ولا تعجز، ولا تيأس، وفي الحكمة: إذا لم يكن ما تريد، فأرِدْ ما يكون .

وَلَا تَكُنْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى وَاصْطَبِرْ لِكَدِّهِ وَلِلْمَلَالِ طَلَّقْ

وفي البيت التالي يحث الشاعر على الكتمان في حالي الفقر والغنى، أما الفقرُ فدفعا لشماتة الأعداء، وصبرا على البلاء، وأما الغنى، فدرءا للحاسدين، وتربية للنفس، وكسرا لدواعي الزهو والعجب والكبرياء .. والكتمان أعون على قضاء الحوائج، وروي في الحديث المتفق على صحته معناه: «اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِكُمْ بِالْكِتْمَانِ».

وكل من الفقراء والأغنياء بمنزلة على حسب صبرهم وشكرهم، وجاء في فضل الجميع نصوص كثيرة.

وذكروا من علامات الأحمق: سرعة الجواب، وكثرة الالتفات،
والعجلة في الحكم، والإفراط في الضحك، ومخالطة الأشرار،
والوقعة في الأخيار.

وهناك علاماتٌ شكلية ذكرت في كتب الأدب والفراصة، غير أنها
لا تنضبط .

وفي رءوس كثير من العباقرة زوايا حمق لا تبرز غوائلها إلا في
المضايق والنوائب، وساعات الغضب .

والحمق يقود إلى كل طبع خسيس، وهو درجات، وكل كافر
أحمق، وللعصاة نصيب بقدر ذلك .

وأرباب الخلل هم أصحاب الفساد والإفساد .

وللجليل الصالح أثر على من يجالس، والصاحب صاحب .

وكل قرين بالمقارن يقتدي

ولقد أحسن من قال:

عَلَيْكَ بِأَرْبَابِ الصُّدُورِ فَمَنْ غَدَا

مُضَافًا لِأَرْبَابِ الصُّدُورِ تَصَدَّرَا

فَرَفَعُ (أَبُو مَنْ) ثُمَّ خَفَضُ (مُزْمَلٍ)

يُبَيِّنُ مَقَالِي مُغْرِيًا وَمُحَذِّرًا

من أساليب اللف والنشر في البلاغة، وهذا معنى قوله: وَكَلَا هَذَيْنِ
إِنْ دَامَ قَتْلٌ .

وَالْإِسْرَافُ: جهلٌ بمقادير الحقوق، والبخلُ شعبةٌ من الجُبْنِ،
وَمَجْرَاهُ يَلْتَقِي مَعَ الحسد؛ لَأَنَّ كَلًّا مِنَ الحاسد والبخل يريد مَنَعَ
الخير عن غيره، وهو دَرَجَاتٌ، كما أن الإسرافَ درجاتٌ،
والاعتدالُ في الإنفاقِ نِسْبِيٌّ.

وقاعدة الاقتصاد العالمي تقولُ لصاحبِ الدَّخْلِ المحدود: يجب
أَنْ يَكُونَ صَرْفُكَ أَقْلًا مِنْ دَخْلِكَ .

والبخل مذموم عقلاً وشرعاً في جميع الأحوال، وليس كذلك
الإسرافُ .

ثم ينتقل الشاعرُ إلى وَصِيَّةٍ أُخْرَى، وهي حفظُ اللسان من الخوض
في أعراض من سبق من أهل العلم والفضل، كالصحابة والتابعين
وأتباعهم بإحسان، فهذا مما يؤذي به المرء نفسه، والجميع أفضى
إلى ما قَدَّمَ، وألقى برحله، ولقي ربَّه .

وقوله: إِنَّهُمْ لَيَسُوءُ بِأَهْلٍ لِلزَّلَلِ . يحتمل معنيين:

أحدهما: ليسوا أهلاً لأن يقعوا في الزلل .

الثاني: ليسوا أهلاً أن يزلَّ المرءُ فيهم بالكلام عليهم .

آخر، فَإِنَّكَ إِن أَبْدَيْتَ لَهُمْ صَفْحَةً اِطْلَاعِكَ، فإِذَا أَنْ تُعَاقِبَ عَلَيْهِ
عِقَابًا أَشَدَّ مِنَ الذَّنْبِ، وَهُوَ ظُلْمٌ، وَإِذَا أَنْ لَا يَكُونُ مَوْفُقًا كَذَلِكَ،
فَيُفْضَى ذَلِكَ إِلَى ضَعْفِ الْوَازِعِ، وَفِي كَلَا الْحَالِينَ يُولَدُ ذَلِكَ تَجَاوُزَ
السَّقَطَةِ إِلَى أَكْبَرَ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا غَايَةَ مَا عِنْدَكَ .

٥٢- لَيْسَ يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ ضِدٍّ وَإِنْ

حَاوَلَ الْعُزْلَةَ فِي رَأْسِ الْجَبَلِ

٥٣- مِلْ عَنِ النَّمَامِ وَاهْجُرْهُ فَمَا

بَلَغَ الْمَكْرُوهَ إِلَّا مَنْ نَقَلَ

٥٤- دَارِ جَارِ السُّوءِ بِالصَّبْرِ وَإِنْ

لَمْ تَجِدْ صَبْرًا فَمَا أَحْلَى النَّقْلُ

اللغة:

العُزْلَةُ: العيشُ بمعزلٍ عن الناس .

مِلْ: فعل أمرٍ من: مالَ يميلُ، والمراد: اجتنبه .

النَّمَامُ: من: نَمَّ، وهو من يَسْعَى بالكلام للوقيعة بين الناس .

دار: فعل أمرٍ من: دَارَى يُداري، والمداراةُ: الملاينةُ .

النُّقْلُ: جمع نُقْلَةٍ، والمرادُ: الانتقال .

إما أن يكون مبالغة في الزجر، وهو أسلوبٌ تربوي لا يقلُّ من شأنِ المعصية.

وإما أن يكون المراد: لا يدخلها ابتداءً حتى يُعذَّب، أو لا يدخلها مع من يدخلها أولاً. وقيل: المراد: من يستحلُّها، وهو ضعيفٌ.

والتحذيرُ من النَّمَامِ بتركه في جميع الأحوال، سواء نُقِلَ عنك أم عن غيرك لك، ومن نَمَّ لك نَمَّ عنك، فلا تثقُ بمن هذه صفته، فإنه طَبَعَه لا يتجزأ، ولا يستطيعُ صاحبه أن يوجَّهه حيثُ يشاء، والوفاءُ منزوعٌ من النَّمَامِ، وهو قصيرُ الصُّحبة، سيءُ المَلَكَةِ، حقيرُ النَّفْسِ، كثيرُ الحَسَدِ، ضعيفُ العَقْلِ، فاسدُ النَّقْلِ.

ومن الحكمةِ مداراة الناس وملايئتهم، وفرق بينها وبين المداهنة، فالمداراة: بذل الدنيا من أجل الدنيا، أو الدين، أو كليهما، والمداهنة: بذل الدين من أجل الدنيا.

والمداراة محمودَةٌ لم يزلِ العُقَلَاءُ يستعملونها، فإن تغرب الإنسان كانت في حقِّه أولى، كما قيل: أَرْضِهِمْ في أَرْضِهِمْ، ودارِهِمْ في دارِهِمْ.. والصبرُ مما يستعانُ به على المداراة، ومن لم يستطع الصَّبْرَ والمداراة، ففي انتقاله فُسْحَةٌ وإعتاقٌ لنفسه، وراحةٌ لقلبه، والثَّقَلُ سهلةٌ على من لم يملك منزلاً يسكنُ فيه.. ولكلٌّ من الاستئجارِ والمِلْكِ محاسنٌ ومساوئٌ ذَكَرْتُها في المقامات.

على منكر، فإن الغرض النصيح وقبوله، وقد قال الله لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُ، [أي: لفرعون] قَوْلًا لِّئِنَّا ﴿طه: ٤٤﴾، وليس في هذه الأمة من هو أفضل من موسى وهارون، ولا يُعرف متجبر في الأرض أشد من فرعون، فإذا كان الناصح والمنصوح دون أولئك، -كل في مقابله-: فغيرهم أولى بمثل ذلك، ومن يعاند السلطان الذي إذا قال فعل فهو أحق. والتاريخ يحكي لنا ما يملأ الصفحات من ذلك .

وأما من كان همه إرضاء الخالق عز وجل، واستعمل ما يوجبه دينه من النصيح والإحسان والحكمة والرفق، فلا عليه أن لا يرضى من لا يرضى، وللشيطان مداخل واسعة في هذا الباب، لا يفتن إليها المرء في تلك الأحوال .

والمأمل في أحوال الأئمة من العلماء على مرّ التاريخ يلمس السكون عند الفتن، والتميز عن غوغاء العامة، بدرء المفسد الكُبرى.

والبيت الذي بعده في ولاية الحكم والقضاء، يوصي فيه الناظم بترك تولي الحكم، ولو سألك الناس، وألحوا عليك، وأبدوا الرغبة والحرص فيك، ومخالفة من لامك منهم على ترك ذلك، فإن ولاية الأحكام مسئولية عظيمة، وأمانة لا يتحملها ضعفاء الناس ومهّازيلهم.

وهذه الوصية يتعين تطبيقها على من وجد من نفسه ضعفاً، وأكثر الناس لا يصلح للقضاء والحكم، وقد يتعين الاستجابة على بعض الناس، والعبرة في ذلك بحاجة الناس واستعداد المكلف .

ومنها ما توجه المروءة، وهذه قيود تضايق الحرية، وإن كان في ظاهرها عزٍّ واختصاص، وقد يكون من غوائل المنصب: ترك المشي في الأسواق، وإجابة الدعوات .

والشطر الثاني من البيت: إخبار عن حاله يوم القيامة إذا لم يعدل، والأحاديث في فضل العدل في الحكم، وتقبيح وذم الظلم كثيرة.

٥٩- إِنَّ لِلنَّقْصِ وَالِاسْتِثْقَالِ فِي

لَفْظَةِ الْقَاضِي لَوْعْظًا وَمَثَلٌ

كلمة (القاضي) اسم منقوص، والمنقوص: اسم معرب آخره ياء لازمة مكسورة ماقبلها، ويعرب في حالة الرفع والجرب بحركة مقدرة على آخره منع من ظهورها الثقل، وهذا هو النقص والاستثقال الذي عناه الناظم، وهو نوع من الأسلوب التشويهي، والمراد من ذلك التحذير .

والوقف على «مثل» بالسكون على لغة ربيعة، أشرت إليه في «ما هبَّ ودبَّ»:

وَقَفُّ رِبِيعَةٍ بِحَذْفِ الْأَلِفِ وَالثُّومُ مُذْهَبٌ لِحَبِّ الْكَلْفِ

ثم قال:

٦٠- لَا تُسَاوِي لَذَّةَ الْحُكْمِ بِمَا

ذَاقَهُ الْمَرْءُ إِذَا الْمَرْءُ انْعَزَلَ

الشرح:

يقول للولاية والمنصب لَذَّةٌ، طَعْمُهَا حُلُوٌّ، وريحُها طَيِّبٌ، ولكنها بمنزلة العسل الذي وضع فيه السَّمُ الفاتِكُ، يطعمُه الطَّاعِمُ حُلُوًّا شديدَ الحلاوة، ثم لا يلبث أن يقطع أمعاءه، وقد تكون الولاية كذلك، ظاهرُها فيه الرَّحمة، وباطنُها من قبله العذاب. وفي الحديث: «نَعِمَتِ المُرْضِعةُ، وبِئْسَتِ الفَاطِمةُ»، وكم من أناس آل بهم الحالُ إلى الهَلَكَةِ، فكانوا حديثَ الناس، أمثال أبي مسلم الخراساني، والوزير ابن بَقِيَّةَ، والأمين، والمتوكِّل، والمستعين، وابن المعتزّ... ، وغيرهم. وتلك حالُ الدُّنيا .

دَارُ مَتَى مَا أَضْحَكَتْ فِي يَوْمِهَا أَبْكَتْ غَدًا تَبًّا لَهَا مِنْ دَارِ

والناظم يقول عن خِبرة، وَيُخْبِرُ عن تَجَرُّبَةٍ، فهو يقول: المنصب نصبٌ، والحُكْمُ حَكْمَةٌ، والقَضَاءُ قَضَاءٌ، وأصدقُ النَّصيح ما كان عن معرفة وخِبرة، ففيها من إِتْعَابِ الجسد والوَنَى ما فيها، وفيها من المَعَانَاةِ في مُدَارَاةِ سَقَطَةِ الناس وسَفَلَتِهِم، والإِغْضَاءِ عَنْهُمْ، والصَّبْرُ عَلَى فَضُولِهِم، مَا صَرَّحَ به الناظم، وحذَّرَ منه على طريقة الشَّكْوَى مما ذاقه من مَرَارَتِهَا.

٦٣- قَصِّرِ الْأَمَالَ فِي الدُّنْيَا تَقْزُرْ

فَدَلِيلُ الْعَقْلِ تَقْصِيرُ الْأَمَلِ

الله عن اليهود ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]، هذا في أعمارهم، وفيما عدا ذلك أصنافٌ شتى أيضاً .
وتأمل بني الإنسان فيما لا يؤمل من ضعفهم .

ولا يؤاخذ الإنسان في أمله، إنما يؤاخذ في عمله، وفي الصحيح «يَشِيبُ ابْنُ آدَمَ، وَيَشِيبُ مَعَهُ خَصْلَتَانِ: الْحِرْصُ، وَطُولُ الْأَمَلِ».

والعاقِلُ مَنْ عَرَفَ طَرِيقَهُ، ولم يتعلق بخُيُوطِ الأملِ الطويلةِ المتشابكة .

وهادم الآمال واللذات، ومنعَصُ العيش ومفرقُ الجماعات هو الموتُ، الذي يَفِرُّ منه الناسُ، وهو ينتظرهم - لا أقول يلحقهم - بل يلاقيهم فإنه أقرب ما يكون إليهم، وهم أبعد شيء عنه، يرون ضحاياهم حولهم وأمامهم وعند أقدامهم، كأن الموت مكتوب على غيرهم، وهم ناجون .. نُصَلِّي ولا نَعْتَبِر، ونُشِيع ولا نَتَّعِظُ، ونُدْفِن ثم نَنسى، ولقد ترى في المقابر - والناسُ على شفير القبر - أنواعاً من عَجَائِبِ الغَفْلَةِ. والموت لُغْزٌ حَيَّرَ الفلاسفة والدَّهْرِيِّين، وأما المؤمنون بالآخرة، فعرفوا أنه كيفيةٌ لإسْدالِ السُّتَارِ عن آخر ساعة من زمن البقاء في الدنيا؛ ليكون بعد ذلك حياة أخرى أبدية سرمدية .

فَلَوْ أَنَّا إِذْ مِتْنَا تَرَكْنَا لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةً كُلِّ حَيٍّ

التَّردَادُ: المراد: الزيارة .

أَضْنَاهُ: أضعفه .

حَدَّ السَّيْفِ: القاطع منه .

غَمْدَهُ: جرابه .

الحُلَلُ: جمع حُلَّة .

الشرح:

هكذا الناظم ينتقل في حدائق الوعظ وبساتين النصيح .. تارة يزجر عن محذور، وحيناً يُوصي بمأمور، وآونة يلفتُ إلى خلق، ووقتاً يُنبه على مَعِيب، وساعة يُرشد إلى مَحْبُوب، وطوراً يرغب في أَدَب، بلا رابطٍ خاص، ولا مناسبة واضحة، سوى معنى واحد، هو الإرشادُ إلى مداواة النفوس، وتهذيب السلوك، والتنبيه على جوامع الأدب، ومثلُ هذا يكونُ فيه اللؤلؤُ المتشورُ خيراً من الدرّ المنظوم، فمثله كمثل من يزرع الحبَّ، ويخرصُ النخل، يزرعه متناثراً، ويخرصه مجموعاً.

وهنا يُرشدُ إلى الإقلال من زيارة الأقارب والأصحاب، فإنَّها أدومُ للألفة، وأبعدُ عن الإملال، وهو معنى الأثر المشهور: زُرْ غَيْباً، تَزِدْ حُبّاً، أي: زُرْ قليلاً، حتى لو كان المزورُ من أقاربك، والقرب نسبيُّ، والملل نسبيُّ، ولكلُّ حالة لبوسُها .

ولا تضرب أيضاً في حديد باردٍ، ولا في غير الموضع المطلوب، بل لا بد من إصابة المحز، وموافقة المفصل .

وقوله: واعتبر فضل الفتى دون الحُلل، ميزان عدل، عليك أن تزن به الناس، فالفضائل لا تعتبر بالمظهر، وجميل الحُلل، وكمال الزي، فكم من الناس من هو باهر الجمال، بهي الطلعة، يلبس الثياب الفاخرة، والزينة النفيسة، ولكنه سيء الملكة، لئيم الطباع، محقوq الفضل، فلا تغتر بالمظهر وحده، فهو من القياس الفاسد، وكم من إنسان رث الهيئة، خلق الثياب، يزدريه الناس، وهو كريم الطبع، عزيز النفس، محمود السمائل .

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ هَضُورُ
وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ فَيُخْلِفُ ظَنَّاكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ

ثم قال رحمه الله:

٦٧- لَا يَضُرُّ الْفَضْلَ إِقْلَالُ كَمَا

لَا يَضُرُّ الشَّمْسَ إِطْبَاقُ الطَّفَلِ

٦٨- حُبُّكَ الْأَوْطَانَ عَجْزٌ ظَاهِرٌ

فَاغْتَرِبْ تَلَقَّ عَنِ الْأَهْلِ بَدَلٌ

٦٩- فَبِمَكْثِ الْمَاءِ يَبْقَى آسِنَا

وَسُرَى الْبَدْرِ بِهِ الْبَدْرُ اكْتَمَلُ

وقوله: حُبُّكَ الْأَوْطَانَ .. إلخ، حَثٌّ عَلَى مَفَارِقَةِ الْأَوْطَانِ،
وَالضَّرْبِ فِي الْأَرْضِ، وَحَيْثُمَا ذُكِرَ الضَّرْبُ فِي الْأَرْضِ فِي الْقُرْآنِ،
فَالْمُرَادُ بِهِ: السَّفَرُ .. وَمَا ذَكَرَهُ سَبَقَ إِلَى مَعْنَاهُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، وَمِنْ
ذَلِكَ قَوْلُهُ:

تَعَرَّبَ عَنِ الْأَوْطَانِ إِنْ كُنْتَ طَالِبًا
رَبَّاحًا فَفِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدٍ
تَفْرُجُ هَمًّا، وَاکْتِسَابُ مَعِيشَةٍ
وَعِلْمٌ، وَآدَابٌ، وَصُحْبَةُ مَا جَدِ

وقال:

سَافِرٌ تَجِدُ عَوَضًا عَمَّنْ تُفَارِقُهُ
وَأَنْصَبُ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ

ثم قال:

٧٠- أَيُّهَا الْعَائِبُ قَوْلِي عَابِثًا
إِنَّ طِيبَ الْوَرْدِ مُؤَذِّ بِالْجُعَلِ
٧١- عَدَّ عَنْ أَسْهُمٍ لَفْظِي وَاسْتَتَرْتُ
لَا يُصَيِّبُكَ سَهْمٌ مِنْ ثُعَلٍ

ومنها: الرغبة في المكابرة والجدل .

ومنها: الحسد، فيغضُّ من شأن الحق وصاحبه، وصاحب هذه الآفة لا بدَّ أن تظهرَ علاماتُ الحسد في مقاله.

ويصدق على النوع الأول والأخير قوله: إِنَّ طَيْبَ الْوَرْدِ مُؤَذِّ بِالْجُعَلِ .

وذلك أن الجُعَل (وهو دُويَّةٌ صغيرةٌ سوداء)، لا يعيش إلا في الزُّبُل وبين العَدِرة، فإذا شَمَّ رائحةً طيبةً، تأذَّى بتلك الرائحة، شأنه شأن من تربى على الجهل وأمراض القلب، فأصبح يؤذيه ريحُ العلم ونفحات الإيمان .

ثم أخذ الشاعر يحذّر من التعرّض له، وغمز كلماته وقصيده، وينصح بالابتعاد عنها والاستتار؛ لأنها سهامٌ صائبةٌ نفاذة لا تخطئ رَمِيَّتَها، كسهام الحي العربي المعروف ببني ثعل، شهروا بالرّمي وجودته، وهم الذين عناهم القائل:

إِنِّي أُرِيدُ طُرُوقَ الْحَيِّ مِنْ إِضْمٍ وَقَدْ حَمَاهُ رُمَاءٌ مِنْ بَنِي ثَعْلٍ

وقد يغتر الإنسان بلطافة خصمه ولينه، فيأمن من غوائله، ويستضعفه، ظناً منه أن باطنه كظاهره، وهو في الحقيقة شديد البأس، قوي العزم، صادق العداء لمن عاداه، مثله مثل الحيّة، لينّة الملمس، سهلة الحركة، وفي جوفها السمّ الزُّعَافُ (بالفاء والقاف)، والحتف المؤكّد، وكأن الشاعر يعني نفسه يُحذّر من استضعافه .

الوردي: الخلق .

الشرح:

من الناس من هو كالعود اللين، من أراد كسره صعب عليه ذلك؛ لأن القوة تكمن في الضعف، ومن أراد عطفه طاوعه العود على ذلك، وانقل له، وقد يكون مع القوة ضعف أيضاً .

ومن صفات المؤمنين أنهم أدلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين .

وفي الناس من هو حاد الطبع، يتقد ناراً عند المغاضبة، حتى إذا لوين وتلطّف له، ولم يعاند عاد حملاً وديعاً، وماء بارداً .

وأكثر الأذكياء تعريضهم حدة، ومن غلب عقله على طبعه استطاع موازنة ذلك، والتحكّم فيه. وفي ترجمة ابن تيمية أنه كانت تعريضه حدة يقهرها بالحلم، وكان يأتيه السائل، فيفيده إن أراد الإفادة، فإذا أراد المناحكة واللجاج عرفه بنفسه، وأراه الجمرة بعد التمرة.

ومن الناس من يجمع إلى الحدة ذكاءً وحُماً، فيتجاوز في قوله وفعله، فلا يصادف الإصابة .

وابن الوردي قال إنه من ذلك النوع الأول الذي من شأنه أن يُجلّ ويكرم، غير أنه وُجد في زمن لا يُقدّر فيه الناس إلا المال، فهو الجاه والمنصب، والعلم، والحكمة، والعقل، والسداد،

رَأَيْتُ النَّاسَ مُنْفَضَّةً إِلَى مَنْ عِنْدَهُ فِضَّةٌ
وَمَنْ لَا عِنْدَهُ فِضَّةٌ فَعِنْدَهُ النَّاسُ مُنْفَضَّةً

ثم قال رحمه الله:

٧٧- كُلُّ أَهْلِ الْعَصْرِ غُمْرٌ، وَأَنَا

مِنْهُمْ فَأَتْرُكُ تَفَاصِيلَ الْجَمَلِ

اللغة:

العَصْرُ: أراد به الزمان الذي عاش فيه .

غُمْرٌ: بضم العين: جاهل ، ومادة (غمر) تدل على ستر وتغطية .

وفي نظم المثلث:

إِنَّ دُمُوعِي غَمْرٌ وَلَيْسَ عِنْدِي غَمْرٌ
يَا أَيُّهَا الْعُمَرُ أَقْصِرْ عَنِ التَّعْتِبِ

وفي شرحه المنظوم:

يُقَالُ لِلْمَاءِ الْكَثِيرِ غَمْرٌ وَالْحِقْدُ فِي الصَّدْرِ فَذَاكَ غَمْرٌ
وَالرَّجُلُ الْجَاهِلُ فَهُوَ غَمْرٌ فَلَا تَكُنْ مِنْ جُمْلَةِ الْجُهَّالِ

خواطر في الذهن، ومعرفة في النفس وضعتها في ضلال النظم ..
ولا يهولتْك ما جاء في صدر الكتاب من ثناء صاحبي، فإنه مما ألفتَه
التراجم .. وقد شرحها: مسعود القناوي، المتوفى بعد (١٢٠٥هـ)،
سماه «فتح الرحيم الرحمن في شرح نصيحة الإخوان»، أكثر فيه من
الاستطراد .

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وآله،
وصحبه أجمعين .

- ٣٢ قدرة الخالق
- ٣٣ لغويات وتعريفات .. والكلام عن الموت وهلاك السابقين
- ٣٧ وصايا في طلب العلم وترك الكسل
- ٤٠ النوم وفلسفته
- ٤٣ الاحتفال بالفقه وترك العجز .. وبسط في العلم وفضله
- ٤٥ عظمة العلم وأهله: والنحو كمال الكلام
- ٤٧ نظم الشعر، والترفع عن المديح طلباً للعطايا
- ٤٩ وكرامة السائل والمسئول، والثقة بالله
- ٥١ أمر الألفاظ وأعذبها
- ٥٢ مُلك كسرى، والزهد في الدنيا، وأمر الرزق
- ٥٥ أطراح الدنيا، وحال الناس فيها جهلاً وعلماء
- ٥٧ حال الشجعان فيها والجبناء .. والحيلة في ترك الحيلة
- ٥٩ ابن الوردي يدعو على البخلاء
- لا تقل أصلي وفصلي، وقد يكون السؤدد بلا نسب،
٦٠ ودليل ذلك، واتصال نسب المصنّف بأبي بكر الصديق
رضي الله عنه
- ٦٣ قيمة الإنسان ما يُحسنه، والكتمان، والكسب، والجِد،
واجتناب الحمقى
- ٦٧ التبذير والبخل والإسراف، وحفظ اللسان، والتغالي
- ٧٠ لا يخلو أحد من ضِد، واجتناب النّمّام، والمداراة

